Al-Fikr Al-Siasi Al-Islami
EISSN: 2015-2783
Scientific-Specialized Bi-Annual journal
Vol. 4 ● No. 1 ● Issue 7 ● Spring & Summer 2024

The Doctrine of Resistance in Iranian and Arab Political Philosophy: From Critique of Modernity to Islamic State-Building

Seyyed Mohammad Hadi Moqaddasi[1]

Date Received: 2025/08/18 Date Accepted: 2025/09/20

Abstract

The concept of "resistance" in contemporary political philosophy in the Islamic world is one of the key discussions in confronting modernity and Western domination. This article uses interpretive and comparative methods to analyze various dimensions of the doctrine of resistance in the views of four prominent thinkers: Taha Abd al-Rahman and Malik ibn Nabi from the Arab world, and Morteza Motahhari and Ayatollah Khamenei from Iran. The findings indicate that all of them emphasize the possibility of resistance and the potential of Islam as its main foundation. Differences in approaches are mainly at the strategic level: Arab thinkers focus on cultural development and community-building, whereas Iranian thinkers emphasize, in addition to culture, ideological independence and the efficiency of an Islamic state.

1. Faculty Member, Imam Khomeini Educational and Research Institute (Center for the Encyclopedia of Islamic Rational Sciences), Qom, Iran. smohamadhm11@gmail.com.

∗ Moqaddasi, S.M.H. (2024). The Doctrine of Resistance in Iranian and Arab Political Philosophy: From Critique of Modernity to Islamic State-Building. *Al-Fikr al-Siyasi al-Islami, 4*(1), pp. 36-65. https://doi.org/10.22081/ipt.2025.73021.1032

© The author(s); **Type of article:** Research Article

Synthesizing these perspectives allows for the construction of a multi-layered model of effective resistance, ranging from critique of modernity to Islamic state-building.

Keywords
Political philosophy, resistance, West, modernity, colonialism, independence, state-building.

الفكر السياسي الإسلامي
EISSN: ٢٠١٥-٢٧٨٣
مجلة علمية نصف سنوية
المجلد ٤ ● العدد ١ ● الرقم المسلسل للعدد ٧ ● ربيع و صيف ٢٠٢٤

عقيدة المقاومة في الفلسفة السياسية الإيرانية – العربية
من نقد الحداثة إلى بناء الدولة الإسلامية

السيد محمد هادي مقدسي[١]

تاريخ الإستلام: ٢٠٢٥/٠٨/١٨ تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٩/٢٠

الملخص

يُعد مفهوم "المقاومة" في الفلسفة السياسية المعاصرة للعالم الإسلامي أحد أهم الموضوعات في مواجهة الحداثة والهيمنة الغربية. يحلّل هذا المقال، بأسلوب التفسير والمقارنة، الأبعاد المختلفة لعقيدة المقاومة في آراء أربعة مفكرين بارزين هم: طه عبد الرحمن ومالك بن نبي من العالم العربي، ومرتضى مطهري وآية الله خامنئي من إيران. تشير معطيات البحث إلى أنهم جميعًا يؤكدون على إمكانية المقاومة وقدرات الإسلام كداعم أساسي لها. يكمن الاختلاف في المنهجيات بشكل أكبر على مستوى الاستراتيجيات: يركز المفكرون العرب على بناء الثقافة وبناء الأمة، بينما يشدد المفكرون الإيرانيون، بالإضافة إلى الثقافة، على الاستقلال العقائدي وكفاءة الدولة الإسلامية. من خلال جمع هذه الآراء، يمكن رسم نموذج متعدد الطبقات للمقاومة المثمرة، من نقد الحداثة إلى بناء الدولة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية

الفلسفة السياسية، المقاومة، الغرب، الحداثة، الاستعمار، الاستقلال، بناء الدولة.

---

* مقدسي، السيد محمد هادي. (٢٠٢٤). عقيدة المقاومة في الفلسفة السياسية الإيرانية – العربية من نقد الحداثة إلى بناء الدولة الإسلامية. مجلة *الفكر السياسي الإسلامي* النصف سنوية العلمية، ٤ (١)، الرقم المسلسل للعدد ٧، صص ٣٦-٦٥.
https://doi.org/10.22081/ipt.2025.73021.1032

١. عضو الهيئة العلمية في مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والبحوث (مركز موسوعة العلوم العقلية الإسلامية)، قم، ايران. smohamadhm11@gmail.com

المقدمة

في العقود القليلة الماضية، أصبح مفهوم "المقاومة" أحد المفاهيم الأساسية في الفلسفة السياسية للعالم الإسلامي. لا يعني هذا المفهوم مجرد الصمود في وجه الهيمنة الخارجية، بل يُطرح كمشروع فكري وسياسي لنقد الحداثة الغربية وإعادة تعريف الهوية الإسلامية في مجال الحوكمة. تتجسد عقيدة المقاومة في الفلسفة السياسية الإيرانية - العربية، من جهة، كرد على التحديات الناجمة عن الحداثة، ونكطة لبناء الدولة الإسلامية من جهة ثانية.

تركّز هذه المقالة على آراء أربعة مفكرين مؤثرين هم: طه عبد الرحمن ومالك بن نبي من العالم العربي، ومرتضى مطهري وآية الله خامنئي من إيران، وذلك لدراسة الأبعاد النظرية والعملية لهذه العقيدة. تم اختيار هؤلاء المفكرين الأربعة بناءً على معيار جغرافي-فكري، يهدف إلى الكشف عن تأثيرات الفضاء الجغرافي والسياسي على تشكيل الفكر الإسلامي. يُعتبر طه عبد الرحمن ومالك بن نبي ممثلَيْن للفكر الإسلامي في أقصى غرب البلاد الإسلامية - من المغرب إلى الجزائر -، بينما ينتمي مرتضى مطهري وآية الله خامنئي إلى الفضاء الفكري والسياسي الإيراني. كان بمقدورنا دراسة مفكرين مثل حسن حنفي أو الإمام موسى الصدر، اللذين تمتد أنشطتهما في المناطق الوسطى من البلاد الإسلامية - سوريا ولبنان -، إلا أن الشاغل الرئيسي لهذا البحث هو الكشف عن الاختلافات المحتملة بين المفكرين الذين نشأوا في الفضاء السياسي الإيراني وأولئك الذين فكروا في أقصى بقاع العالم الإسلامي. تتيح لنا هذه المقارنة التحقق مما إذا كانت الاختلافات البيئية تؤثر على نسيج وهيكل فكر الفلاسفة السياسيين، وفي الوقت نفسه، تقدم إجابة عن السؤال حول ما إذا كانت الفلسفة السياسية منفصلة عن التحولات الاجتماعية أم متناغمة معها.

توضح هذه المقالة كيف انتقلت عقيدة المقاومة من نقد الحداثة إلى نموذج

لبناء الدولة الإسلامية، وما هي الاختلافات والتشابهات بين المناهج العربية والإيرانية. من خلال التحليل المقارن لهذه الشخصيات الأربعة، يمكن الحصول على فهم أفضل للتحولات الفكرية والسياسية في العالم الإسلامي في العصر الحديث.

الدراسات السابقة

عالجت الدراسات السابقة مفهوم "المقاومة" بشكل أساسي من منظور الخطاب والوظيفة. يوضح متقي في مقالته "خطابات المقاومة والخطابات المضادة في السياسة الدولية" أن المقاومة هي دالة لإكراهات النظام الدولي بعد الحرب الباردة، وأنه بالتزامن مع تشكيل خطاب المقاومة، قام الغرب أيضًا بإنتاج "خطاب مضاد للمقاومة" لإعادة إنتاج الهيمنة (متقي، ١٣٩٢ش). في دراسة أخرى، يبحث سيمبر في مقالته "تحليل وظائف المقاومة في السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية" استراتيجية المقاومة في سياق السياسة الخارجية الإيرانية، مشيرًا إلى أن هذه الاستراتيجية لعبت دورًا حاسمًا في تعزيز الأمن الإقليمي وتقوية محور المقاومة (سيمبر، ١٤٠٢ش). كما يقوم فرهادي وشفيقي في مقالتهما "إعادة النظر في سياسة المقاومة ضمن مجال نظريات الأخلاق المعيارية" بتحليل المقاومة بناءً على النظريات الثلاث للأخلاق المعيارية، ويستكشفان شروط إمكان المقاومة وأخلاقيتها بناءً على المقولات الثلاث التجمع الأخلاقي، والمصلحة العامة، والفخر (فرهادي وشفيقي، ١٤٠٢ش). علاوة على ذلك، يتناول گودرزي وزملاؤه في مقالتهم "الأسس النظرية لمحور المقاومة الإسلامي مع التركيز على الأممية الإسلامية" الأسس النظرية والجيوسياسية لمحور المقاومة، مستفيدين من تحليل الخطاب لدى لاكلا وموفيه، ويعتبرونه أرضية محتملة لتشكيل أمة إسلامية واحدة (نساج وآخرون، ١٤٠٠ش).

ميزة هذه المقالة

يكمن الاختلاف بين هذه المقالة والأبحاث السابقة في أنها لا تقتصر على مستوى الخطاب أو السياسة الخارجية فحسب، بل تتناول من خلال نهج مقارن تحليل أفكار أربعة مفكرين بارزين إيرانيين وعرب. وتسعى إلى الكشف عن الأبعاد النظرية للمقاومة، من نقد الحداثة إلى بناء الدولة الإسلامية، وتقديم نموذج أشمل لعقيدة المقاومة في العالم الإسلامي.

تنظر هذه المقالة إلى موضوع المقاومة من مستوى الفلسفة السياسية، وتحاول تحليل ضروراتها باستخدام حجج مفاهيمية ونظرية. على عكس الدراسات الوصفية أو التطبيقية البحتة، كما تبحث في الأسباب الفلسفية والأخلاقية لتشكل المقاومة، وتُظهر كيف يمكن للمقاومة أن تحافظ على شرعيتها وفعاليتها على المستويين الفردي والثقافي، وكذلك على مستوى الأمة والدولة. بالإضافة إلى ذلك، تولي المقالة اهتمامًا للحلول العملية لتطبيق المقاومة، وترنو من خلال دراسة آراء المفكرين الإيرانيين والعرب إلى تحليل الآليات اللازمة للمقاومة المثمرة وتقييمها.

طه عبد الرحمن؛ نقد الحداثة على أساس مفهوم الإبداع

يتناول طه عبد الرحمن في كتابه "الحداثة والمقاومة" العلاقة المعقدة بين مفهومي "الحداثة" و"المقاومة". ويشير إلى الاعتقاد الشائع بأن الحداثة تُنسب بشكل عام إلى تقدم وقوة الغرب، بينما غالبًا ما تُصور المقاومة على أنها سمة للأمم الضعيفة والمتخلفة مثل العرب والمسلمين. بل قد يرى البعض أن المقاومة تعني معارضة الحداثة والسعي لتثبيت حالة التخلف. على الرغم من أن الحداثة الغربية نفسها تحتوي على تيارات نقدية متعددة، إلا أنها في التجربة التاريخية للمجتمعات الإسلامية، قد ظهرت في الغالب كأداة لهيمنة الغرب على

الشرق، بدلًا من كونها مشروعًا فكريًا وفرصة لإعادة التفكير في التراث والعقلانية.

يوضح عبد الرحمن أنه يرغب في تحدي الرأي التقليدي حول الحداثة. من وجهة نظره، فإن الحداثة الغربية هي مجرد أحد الأمثلة الممكنة لـ "روح الحداثة"، ولا تمثل بالضرورة أفضل تجلٍّ لها أو أكملها. من خلال تقديم تعريف جديد للحداثة، يعرفها بأنها "استجابة أمة لمتطلبات عصرها التاريخي الخاص". هذا التعريف يشير إلى أن الحداثة ليست حكرًا على جغرافيا أو فترة زمنية معينة، بل كل أمة تستطيع الاستجابة لاحتياجات عصرها فهي حديثة. حتى المقاومة ضد بعض جوانب الحداثة الغربية يمكن أن تُعتبر شكلًا من أشكال الحداثة إذا اقترنت بالإبداع.

يستخدم عبد الرحمن المقاومة الإسلامية في لبنان لتطبيق رؤيته. في اعتقاده، تُعد المقاومة الإسلامية في لبنان، بالاعتماد على الإبداع والاستقلال في العمل ضد المحتلين، نموذجًا بارزًا للحداثة الإسلامية. هذه المقاومة لم تصمد فقط في وجه الاحتلال، بل قدمت نموذجًا جديدًا للحداثة بالاعتماد على القيم الدينية، والذي يتفوق على الحداثة الغربية في بعض الجوانب. ثم ينتقل إلى مقارنة الحداثة الغربية والمقاومة الإسلامية. من وجهة نظره، سعت الحداثة الغربية إلى تحقيق الحرية من خلال الانفصال عن الدين والتقاليد، بينما حققت المقاومة الإسلامية الحرية الأصيلة بالحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية. هذه المقاومة، بالاعتماد على الإيمان والإبداع، لم تكن مؤثرة عسكريًا فحسب، بل أثرت أيضًا في المجالات الاجتماعية والثقافية، وأسست لنموذج جديد للحداثة (عبد الرحمن، ٢٠٠٧م، صص ١٣-١٦).

يؤكد عبد الرحمن أن تحقيق الحداثة الحقيقية في العالم الإسلامي يتطلب شرطين أساسيين: أولًا، يجب أن يبدأ التغيير من القاعدة بإرادة جماعية للشعب.

ثانيًا، يجب تقديم حلول مناسبة للظروف الحالية من خلال الاجتهاد النابض والديناميكي وإعادة قراءة النصوص الدينية بذكاء. ثم يستنتج من هذه الحجة أنه قد نشهد وضعًا تكون فيه الشعوب المسلمة قد حققت الحداثة، بينما تفتقر حكوماتها إلى هذه الميزة. من خلال نقد النظرة السائدة التي تربط الحداثة بالمؤسسات الحكومية فقط، يعتقد عبد الرحمن أن الحداثة الأصيلة يجب أن تنبع من رحم المجتمع بإرادة الشعب، لا أن تُفرض على المجتمع من الهياكل السياسية. لقد لجأت العديد من الدول الإسلامية إلى التقليد السطحي للنماذج الغربية، بدلًا من خلق حداثة متجذرة في الثقافة المحلية، مما لم ينتج عنه سوى المزيد من التبعية وفقدان الهوية الإسلامية. في مقابل هذا القصور، أظهرت الحركات الشعبية مثل حزب الله في لبنان كيف يمكن تحقيق نموذج أصيل للحداثة الإسلامية بالاعتماد على الإبداع والعقلانية النقدية والمشاركة العامة. هذه الحركات، من خلال ابتكار حلول جديدة لمواجهة التحديات، ودمج القيم الدينية مع التفكير الاستراتيجي، وحشد القوى الشعبية، أثبتت أن الحداثة لا تعني بالضرورة اتباع الغرب بشكل أعمى (عبد الرحمن، ٢٠٠٧م، صص ٣٤-٣٩).

يطرح طه عبد الرحمن في كتابه "روح الحداثة" نظرية "التعقل الموسع" كنموذج إبداعي لمواجهة العولمة الغربية، والتي يمكن تحليلها كإحدى أبعاد نظرية المقاومة في الخطاب الفكري الإسلامي المعاصر. من خلال النقد الجذري لـ "التعقل الاداتي" كأساس ومنطلق للعولمة الغربية التي تركز فقط على المصالح المادية وتتجاهل الأبعاد الروحية، يوضح أن هذا المنظور الأحادي قد أدى إلى أزمات اجتماعية واقتصادية وثقافية عميقة. في المقابل، يقترح عبد الرحمن "التعقل الموسع" الذي يحلل الأسباب المادية ويأخذ الغايات الروحية في الاعتبار، من خلال دمج الحكمة النقدية والقيم الإلهية. هذه النظرية لا تمثل نهجًا سلبيًا تجاه الحداثة ولا تسعى إلى تقليدها بشكل سطحي، بل من خلال الحفاظ

على الاستقلال الفكري والاعتماد على المصادر الإسلامية، فهي تتحرر من نفخ التقليد الأعمى من جهة، ومن جهة أخرى، من خلال الابتكار المفاهيمي وإعادة الإبداع النقدي لمفاهيم الحداثة مثل التقدم والعدالة والحرية، تتيح إمكانية مشاركة حضارية إسلامية بناءة في تشكيل النظام العالمي. السمة البارزة لهذه النظرية هي نظرتها التي ترى العولمة كفرصة، حيث لا تعتبرها تهديدًا مطلقًا، بل كمنصة للحوار بين الحضارات وإعادة إنتاج الخطاب الإسلامي على الساحة العالمية، وتقدم نموذجًا للمقاومة الثقافية في مواجهة الأحادية الغربية للعولمة (عبد الرحمن، ٢٠٠٦م، صص ٧٧-٩٨).

مالك بن نبي؛ رفض الاستعمار بالاعتماد على الحرية الفكرية

يطرح المفكر الجزائري مالك بن نبي مفهوم "الاستعمار الفكري" لتحليل الآثار العميقة للاستعمار التقليدي في المجتمعات الإسلامية. من وجهة نظره، يشير الاستعمار الفكري إلى وضع لا تعتمد فيه المجتمعات المستعمرة على المستعمر سياسيًا واقتصاديًا فحسب، بل في مجال الفكر والثقافة أيضًا. هذا الاعتماد الفكري والثقافي يجعل الناس ينسون هويتهم، ويهمشون قيمهم المحلية، ويلجأون إلى التقليد الأعمى للنماذج الغربية. يعتقد مالك بن نبي أن الاستعمار الفكري يؤدي إلى إضعاف الهوية المحلية، والتفكك الاجتماعي، والتخلف المستدام، لأنه يمنع تبلور التفكير النقدي والإبداعي في المجتمع.

أحد المفاهيم الرئيسية في فكر مالك بن نبي هو "القابلية للاستعمار". يعتقد أن المستعمرين لا يمكنهم السيطرة على مجتمع ما إلا إذا كان هذا المجتمع مستعدًا داخليًا لقبول الهيمنة. بمعنى آخر، إن نقاط الضعف الداخلية مثل الافتقار إلى التماسك الاجتماعي، والاعتماد الفكري، والابتعاد عن القيم الأصيلة، تهيئ الظروف المناسبة لتدخل الاستعمار. من هذا المنظور، فإن الاستعمار ليس مجرد

عامل خارجي، بل هو نتيجة للظروف الداخلية لمجتمع فقد قدرته على المقاومة ضد الهيمنة لأسباب مختلفة.

مع التأكيد على ضرورة مواجهة الاستعمار الفكري، يقدم مالك بن نبي حلولًا عملية أكثر للتحرر من هذا الوضع. وهو يعتقد أن مكافحة الاستعمار الفكري تتطلب تحولًا شاملًا في الأبعاد الفكرية والثقافية والاجتماعية.

١. العودة إلى الهوية الأصيلة: يشدّد مالك بن نبي على إحياء القيم الدينية والثقافية كأسس للهوية المستقلة. ويعتقد أن على المجتمعات الإسلامية إعادة تعريف نماذج السلوك والفكر المستقلة عن الغرب من خلال الرجوع إلى تراثها الفكري والحضاري. هذه العودة لا تعني الانعزال، بل تعني إعادة قراءة الماضي بشكل نقدي لبناء مستقبل مستقل.

٢. إنتاج الفكر والرأي المستقل: في اعتقاده، إنّ التقليد الأعمى للغرب يُبقي المجتمع في دائرة التبعية. لذلك، فإن تنمية التفكير النقدي والإبداعي الذي يمكنه تحليل المشاكل الداخلية وحلّها دون الاعتماد على النماذج الخارجية أمر ضروري. وهذا يتطلب تشجيع النخب على إنتاج العلم والأفكار الجديدة التي تتناسب مع الاحتياجات الحقيقية للمجتمع.

٣. إصلاح النظام التعليمي: يعتبر مالك بن نبي أن أنظمة التعليم الحالية هي أداة لاستمرار الاستعمار الفكري. ويقترح أن النظام التعليمي، بدلًا من تخريج مستهلكين للعلم، يجب أن يركز على تنشئة أفراد مستقلين ومبدعين ومسؤولين. يجب أن يستند التعليم والتدريب إلى القيم المحلية والاحتياجات الحقيقية للمجتمع لتربية جيل واعٍ وواثق بنفسه.

٤. تعزيز المقاومة الثقافية: تتطلب المقاومة ضد التغلغل الثقافي الاستعماري تعزيز الثقافة المحلية والإسلامية. ويؤكد مالك بن نبي على أهمية وسائل الإعلام والفن والأدب في هذه العملية. في اعتقاده، إذا لم يتمكن المجتمع الإسلامي من

تقديم ثقافته بشكل حديث وجذاب، فسيكون دائمًا عرضة للغزو الثقافي.

٥. التعبئة الاجتماعية والوعي الجماعي: يشير بن نبي إلى أن مكافحة الاستعمار الفكري لا يمكن أن تتم دون مشاركة الجميع. لذلك، فإن إيقاظ الوعي العام وتشجيع الناس على لعب دور في مصيرهم هو الخطوة النهائية للتحرر من الهيمنة الفكرية.

يعتقد مالك بن نبي أن الاستعمار الفكري ينتهي عندما يصل المجتمع إلى فهم حقيقي لوضعه، ويسلك مسار التقدم المستقل بالاعتماد على الموارد الداخلية. هذه العملية لا تتطلب فقط محاربة العوامل الخارجية، بل تتطلب أيضًا إصلاح نقاط الضعف الداخلية وإعادة بناء الهوية الجماعية. ويؤكد أنه ما دام الاستعمار الفكري موجودًا، فلن يتحقق الاستقلال الحقيقي. لذا، فمكافحة هذه الظاهرة وتقوية الأسس الفكرية والثقافية للمجتمع خطوة ضرورية لتحقيق التنمية والتقدم (مالك بن نبي، ١٤٠٦هـ، صص ١٤٣-١٥٩).

يستعرض مالك بن نبي دور الفكر الديني في تشكيل الحضارة بناءً على ثلاثة عناصر أساسية: الإنسان، والتراب (الأرض)، والزمن. من وجهة نظره، يعمل الفكر الديني كعامل محفز، ومن خلال تنظيم الغرائز الإنسانية، يرتب العلاقات الاجتماعية على أساس القيم الأخلاقية والروحية. هذه العملية تخرج الإنسان من حالته الطبيعية، وبتحويل الغرائز نحو أهداف سامية، تجعل منه المحور الرئيسي للحضارة. في هذا الإطار، لا يصبح التراب (الموارد الطبيعية) في خدمة الحضارة إلا عندما يستخدمه الإنسان بإرادته ومعرفته، بحيث في المجتمعات المتأثرة بالفكر الديني، لا يُستخدم التراب كمورد اقتصادي فحسب، بل كموهبة إلهية تُستخدم بمسؤولية وعدالة. كما أن الزمن، كعنصر ثالث، يكتسب معناه في ضوء الفكر الديني ويصبح فرصة لتحقيق الأهداف الإلهية والإنسانية. في النهاية، يؤدي الجمع بين هذه العناصر الثلاثة تحت تأثير الفكر الديني إلى حضارة تصل إلى الكمال في البعدين المادي والمعنوي (مالك بن نبي، ١٤٠٦هـ، صص ٦١-١٤٢).

مرتضى مطهري؛ الاستقلال العقائدي وإعادة بناء الشخصية الإسلامية

يمكن تتبع عقيدة المقاومة في فكر الأستاذ مطهري بناءً على مفهوم "الاستقلال". الاستقلال في فكر الأستاذ مطهري له أبعاد سياسية واقتصادية، لكن أهم جوانبه هو البعد الثقافي والفكري. مصطلح "الاستقلال العقائدي" الذي اختاره الأستاذ مطهري فيما يتعلق بالاستقلال الثقافي والفكري، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمقاومة ضد الهيمنة الغربية.

الاستقلال العقائدي في فكر الأستاذ مطهري يقف في مواجهة "الالتقاط" (الخلط أو المزج). الاستقلال العقائدي يحتوي على عنصرين: الأول هو الاستفادة من الأيديولوجية الإسلامية، والثاني هو الثقة بفعالية الفكر الإسلامي وعدم الشعور بالخجل من الانتماء إلى الفكر الإسلامي. يبدو أن الأستاذ مطهري يريد أن يقول أنّ المقاومة لا تجتمع مع الخجل، بل يجب أن تكون مصحوبة بالجرأة. الشعور بالخجل من امتلاك الفكر والأيديولوجية الإسلامية هو عامل يدفع المسلم إلى خلط الفكر الإسلامي بعناصر من أفكار غير إسلامية. قد يكون "الالتقاط" جذابًا لشرائح من المجتمع الإسلامي في مراحله الأولى، ولكنه يفقد تأثيره على المدى الطويل. في المجتمعات الإسلامية، يجب أن يكون لكل عقيدة جذور في المصادر الإسلامية الأصيلة - الكتاب والسنة (مطهري، ١٣٦٨ش، ج٢٤، صص ١٧٦-١٧٧).

الاستقلال العقائدي في رؤية الأستاذ مطهري لا يقتصر على المجال الثقافي فحسب، بل يمتد ليشمل السياسة والنظام السياسي. على وجه التحديد، يطرح الأستاذ مطهري مسألة الاستقلال العقائدي من زاوية دوره في استمرارية الثورة الإسلامية. لذلك، فإن الاستقلال العقائدي في نظره يجب أن يُعدّ من الأهداف العليا للثورة الإسلامية. وعلى الرغم من أن الاستقلال العقائدي منفصل عن مجال الاستقلال السياسي والاقتصادي، إلا أن تغيير النظام

السياسي هو أداة لتحقيق الاستقلال العقائدي بشكل كامل.

بحسب اعتقاد الأستاذ مطهري، حتى مع تغيير النظام وتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي النسبي، طالما لم يتم تحقيق الاستقلال العقائدي، فلا يمكن التفاؤل بمستقبل الثورة. إن الالتزام الأهم في الاستقلال العقائدي هو الاعتماد على العناصر الفكرية التي تميز الرؤية الإسلامية عن الرؤى الغربية والشرقية. وعلى هذا الأساس، بدلًا من البحث عن أدلة وقرائن في الفكر الإسلامي تُظهره متوافقًا مع عناصر من الرؤى الغربية والشرقية، يجب الترويج بجرأة لذلك الجزء من الفكر الإسلامي الذي هو باهت أو مفقود في الأفكار الغربية والشرقية (مطهري، ١٣٦٨ش، ج٢٤، صص ٢٤٥-٢٤٦).

ربما يمكن أن ننسب ثلاث فرضيات تتعلق بالاستقلال العقائدي إلى الأستاذ مطهري، يكون أحد طرفيها امتلاك عقيدة مستقلة والطرف الآخر هو الخضوع للعقائد الأجنبية. الفرضية الأولى هي أن أمة ما تمتلك عقيدة مستقلة تاريخيًا. في هذه الفرضية، يجب على تلك الأمة الاعتماد على عقيدتها وعدم اللجوء أبدًا إلى "الالتقاط"، لأن "الالتقاط" في فرضية امتلاك عقيدة مستقلة يؤدي إلى موت تلك الأمة.

الفرضية الثانية هي أن أمة ما لا تمتلك عقيدة مستقلة. في هذه الحالة، لا ينبغي لتلك الأمة أن تخضع للعقائد الأجنبية دون تفكير، بل يجب أن تسعى لإنتاج عقيدة فكرية من العقائد المختلفة، مع مراعاة مُثُلها واحتياجاتها. قد يكون هذا العمل قريبًا من "الالتقاط"، ولكنه يختلف عن "الالتقاط" في الفرضية الأولى؛ لأنه في الفرضية الأولى، يتم دمج عناصر من الأفكار الأجنبية مع فكر أصيل متجذر، بينما في الفرضية الثانية، تنتج أمة ما، بدلًا من الخضوع الكامل لعقيدة أجنبية واحدة، عقيدة - وإن كانت غير أصيلة - من عقائد أخرى، وبقدر هذا الإبداع يمكن أن تنعم بالحياة وتبتعد عن الموت الكامل.

الفرضية الثالثة هي الخضوع المطلق للعقائد الفكرية الأجنبية، وهذا يحدث للأمم التي تفتقر إلى النضج والإبداع، والتي لم تستطع عبر التاريخ أن تمتلك عقيدة مستقلة، ولا هي قادرة اليوم، بالنظر إلى الأزمات التي تعاني منها، على إنشاء عقيدة مركبة من عقائد أخرى. مثل هذه الأمة تكون في حالة موت كامل من الناحية العقائدية، وبنفس القدر لن تحظى بحياة مستقلة من الناحية السياسية والاقتصادية (مطهري، ١٣٦٨ش، ج٢٤، ص ٢٤٤).

ما يعزز أهمية الفرضية الأولى في الفقرة السابقة هو أن الأستاذ مطهري يتحدث عن "الاستقلال الكامل" فيما يتعلق بالاستقلال العقائدي. وقد قال: "في مستقبل الثورة الإسلامية، من بين القضايا التي يجب أن نفكر فيها كثيرًا قضية الاستقلال، لكي نصل بأنفسنا إلى الاستقلال الكامل، وخاصة الاستقلال العقائدي" (مطهري، ١٣٦٨ش، ج ٢٤، ص ٢٤٨). من هذا الكلام، يُستنتج إمكانية استحالة الاستقلال الكامل في المجالات السياسية والاقتصادية، وإمكانية الاستقلال الكامل فيما يتعلق بالاستقلال العقائدي. بالنظر إلى الوضع المتشابك للدول في العصر الحاضر والتطور المتسارع لاحتياجات المجتمعات، ربما لا يكون الاستقلال الكامل في تلبية الاحتياجات السياسية والاقتصادية الأساسية ممكنًا لدولة ما. لكن مثل هذه المعضلة لا تُتصور في الاستقلال العقائدي، ويجب على الأمة أن تكون معتمدة تمامًا على نفسها في مجال الأيديولوجيا والرؤية للعالم.

فكرة الاستقلال العقائدي الكامل تفيد بأن الأمة يجب أن تتمتع باستقلال فكري كامل تجاه العالم، وأن تتجنب المزج الفكري مع الأمم الأخرى. الوصفة التي تنبع من هذه الفكرة هي أن الأمة، على الرغم من علاقاتها السياسية والاقتصادية مع الأمم الأخرى، يجب أن تتجنب أي "التقاط" فكري. ربما يمكن استنتاج نتيجة أخرى من هذه الفكرة، وهي أنه حتى لو كان ذلك ممكنًا، يجب تجنب أي مزج سياسي واقتصادي مع الأمم غير المتجانسة فكريًا، وفي وضع

مثالي، يجب أن تكون جميع العلاقات والاندماجات فقط مع الأمم المتجانسة فكريًا.

إنّ إصرار الأستاذ مطهري على فكرة الاستقلال العقائدي والقول بإمكان الاستقلال العقائدي الكامل على أساس الرؤية الإسلامية لم يكن تقليدًا أو شعارًا، بل نابع من أبحاثه في فلسفة الأحكام الإسلامية. يعتقد مطهري أن الفلسفات الحياتية بشكل عام، وفلسفة المجتمع بشكل خاص، في الإسلام أكثر تقدمًا بكثير من الفلسفات الحياتية في الغرب (مطهري، ١٣٦٨ش، ج٢٤، ص ٢٢٣). يستمر بحث الأستاذ في إثبات تفوق فلسفات الحياة الإسلامية على فلسفات الحياة الغربية من خلال مناقشة أمثلة انحطاط الفلسفات الغربية. كما ذكرنا سابقًا، يعتقد الأستاذ أنه بناءً على الاستقلال العقائدي، يجب استعراض مزايا الفكر الإسلامي وعيوب الفكر الغربي. من وجهة نظره، إنّ مكانة الإنسان في الفلسفة الغربية الحديثة شهدت تدنيًا وانحدارًا من مرتبة "أشرف المخلوقات" إلى مجرد كائن مادي ونتيجة لعمليات تطورية. هذا النهج، المتأثر بالتيارات المادية، يتجاهل مفاهيم سامية مثل الروح الخالدة. في المقابل، تعتبر الفلسفات الشرقية (بما في ذلك الإسلامية والهندية والصينية والإيرانية) الإنسان كائنًا شاملًا يمتلك روحًا إلهية وقابلية للارتقاء نحو الحقيقة. هذا الاختلاف الجوهري له تأثيرات واسعة في مجالات الأخلاق، ونظرية المعرفة، والسياسة، ويدل على مزايا الفكر الإسلامي وعيوب الفكر الغربي (مطهري، ١٣٦٨ش، ج١٩، صص ١٥٠-١٤٩).

من وجهة نظر الأستاذ مطهري، في البلاد الإسلامية، الإسلام وحده هو الذي يمنح الناس روح الاستقلال والمقاومة كفلسفة حياة مستقلة. في النضالات التي خاضها المسلمون ضد الاستعمار في القرن العشرين، كان عامل الإسلام أكثر تأثيرًا من عامل القومية. يقدم الأستاذ مطهري حلولًا أساسية لمواجهة الهيمنة الغربية، أولها "اتحاد المسلمين". يعتقد أن الاستعمار يسعى دائمًا

إلى خلق الفرقة، ويعتبر "الوحدة الإسلامية" ترياقًا فعالًا في مواجهتها. الحل الآخر هو رفع الوعي العام، لأن الاستعمار يستفيد من جهل الجماهير ولا يتصدى للخرافات أبدًا، بل يرسخ سيطرته من خلال الحفاظ على مظهرها. في المقابل، فإن أمة واعية وعازمة لن تخضع أبدًا للهيمنة. كما يؤكد الأستاذ مطهري على يقظة الجيل الشاب؛ جيل يطالب بالاستقلال والتحرر من الهيمنة، وإذا وعى مكائد الاستعمار، فلن يسلك طريق الاستسلام. يعتبر "الشخصية" و"الاعتداد بالهوية" أهم من العلم والثروة؛ وهما العاملان اللذان حقّقا النصر في أمم مثل الجزائر. من وجهة نظره، الشخصية تعني الالتزام بالمبادئ الفكرية والدينية، والحفاظ على الشعائر الوطنية والدينية. التقليد الأعمى للغرب في الملبس أو التسمية أو الثقافة هو علامة على انعدام الهوية وفقدان روح الاستقلال. في الختام، يؤكد أن المسلمين يجب أن يتحملوا مسؤولية الخدمات العامة من خلال إنشاء مؤسسات اجتماعية وثقافية مستقلة، لتحرير أنفسهم من التبعية للغرب (مطهري، ١٣٦٨ش، ج١٤، ص ٥٥؛ ج ١٧، ص ٦٠؛ ج٢٤، ص ٤١؛ ج٣٠، ص ١٦٠).

آية الله خامنئي؛ صلابة البناء الداخلي وكفاءة الحكومة

"المقاومة" هي إحدى الكلمات المفتاحية والموضوعات الرئيسية في فكر آية الله خامنئي. يستدل على ضرورة المقاومة بمجموعة من الأسباب التعبدية والتجريبية. يقرأ آية الله خامنئي حملة الغرب الشاملة ضد جبهة الإسلام من زاوية الحرب بين الحق والباطل. حرب الحق والباطل ليست ظاهرة جديدة، فهي متواصلة عبر التاريخ. لذلك، لن تخطر ببال دعاة الحق فكرة التحرر منها أبدًا، وبدلًا من ذلك، يجب زيادة القوة والإمكانيات، وتبنّي المقاومة (خامنئي، ١٣٩٦/١٢/٢٤ش). إن وعود الله في القرآن للمؤمنين بأنّه إذا اعتمد الناس على قوتهم الذاتية فلن تصمد

أيّ قوة أمامهم، لدليل مهم آخر على ضرورة المقاومة (خامنئي، ١٣٧٩/٠٣/١٤ش). يعتقد آية الله خامنئي بناءً على السنّة الإلهية أنّ الطريق الوحيد لتحقيق النصر هو المقاومة والصمود، ولا يوجد بديل عنهما. هذا المبدأ صحيح حتى في الظروف التي تكون فيها قوة المقاومة محدودة كميًا، وتقف في مواجهة قوة عظمى عسكرية مدعومة بدعم غير مشروط من القوى العالمية. هذه العبارة جزء من القوانين الإلهية التي تحكم العمليات الاجتماعية والسياسية (خامنئي، ١٣٨٥/٠٧/٢١ش).

يشرح آية الله خامنئي، من خلال تحليل تجريبي واستراتيجي، المقاومة كنموذج ناجح للجمهورية الإسلامية الإيرانية، والذي يستند إلى دعامتين أساسيتين: من ناحية، القدرات الداخلية للبلاد، ومن ناحية أخرى، نقاط الضعف البنيوية في نظام التسلّط والهيمنة. على الصعيد الداخلي، تتمتع إيران بالعديد من المزايا الاستراتيجية، بما في ذلك الشباب المتعلم، واحتياطيات الطاقة والمعادن الغنية، والتماسك الاجتماعي القائم على القيم الدينية. تعزز هذه العوامل مجتمعة القدرة على الصمود الوطني وتوفر إمكانية مواجهة الضغوط الخارجية بفعالية. على المستوى الدولي أيضًا، يواجه نظام الهيمنة، وخاصة الولايات المتحدة، تحديات بنيوية عميقة مثل أزمة الشرعية الداخلية، وتراجع النفوذ العالمي، وعدم القدرة على احتواء حركات المقاومة الإقليمية. يعتبر فشل العقوبات ضد إيران والنمو المتزايد للمقاومة في فلسطين أمثلة واضحة على نقاط الضعف هذه. يوضح هذا التحليل الاستراتيجي أن المقاومة ليست مجرد رد فعل سياسي، بل هي نتاج تفاعل ذكي بين القدرات الداخلية ونقاط ضعف العدو. من خلال فهم هذه الحقائق والاستفادة من الموارد الوطنية والتحولات الهيكلية للنظام الدولي، تمكنت الجمهورية الإسلامية الإيرانية من ترسيخ استراتيجية المقاومة كنموذج فعال ومستدام لتحقيق أهدافها الكبرى (خامنئي، ١٣٩٨ش، صص ٢٨-٣٣).

سبب آخر هو التكلفة - الفائدة للمقاومة مقابل المساومة. هذا السبب يشير إلى أن المساومة السياسية مع أنظمة الهيمنة، على الرغم من قلة تكلفتها، بحسب الظاهر، إلا أنها تؤدي على المدى الطويل إلى دفع أثمان باهضة على صعيد السيادة الوطنية، واستقلالية القرار، ورأس المال الاجتماعي. تُظهر التجربة التاريخية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بوضوح أنه على الرغم من أن المقاومة تتطلب تحمل الضغوط على المدى القصير، إلا أنها أثبتت فعاليتها على المدى الأطول في الحفاظ على السلامة الإقليمية، والاستقرار السياسي، والتقدم العلمي والتكنولوجي. يكتسب هذا النموذج معناه الكامل عندما يُفهم أن الأنظمة المهيمنة لا تنظر إلى المساومة كنقطة نهاية، بل كمقدمة لزيادة الضغوط. في المقابل، فإن المقاومة الذكية، من خلال تحويل التهديدات إلى فرص، لا تمنع فقط فرض إرادة القوى الأجنبية عليها، بل توفر أيضًا البنية التحتية اللازمة للتنمية المستدامة من خلال خلق التقارب الوطني وتعزيز القدرة على الصمود الاجتماعي. يتمتع خطاب الإمام الخميني﵀ بعمق نظري في هذا الصدد، لأنه من خلال فهم جدلية التكلفة - الفائدة في الساحة الدولية، كان يعتبر دفع التكاليف قصيرة الأجل بمثابة استثمار لتحقيق المصالح الاستراتيجية التي تؤدي في النهاية إلى عائد تصاعدي. التجربة الإيرانية الناجحة في تجاوز الحرب المفروضة والعقوبات الظالمة تشكّل دليلًا ملموسًا على أن المقاومة ليست مجرد شعار عاطفي، بل هي نتاج حسابات عقلانية واستخلاص الدروس من التاريخ المعاصر (خامنئي، ١٣٨٦/٠٣/١٤ش).

بحسب آية الله خامنئي، بمقدور الدولة الإسلامية التي تقوم على الأسس الدينية والقيم الثورية أن تقدم نموذجًا فعالًا للمقاومة ضد الهيمنة الغربية، بالاعتماد على مبادئ العدالة والشفافية والديمقراطية الدينية والمسؤولية تجاه الشعب،. أساس هذا النموذج هو سيادة القانون الإلهي، الذي يعمل كإطار

رئيسي للحوكمة، ويمنع نفوذ الثقافة والقيم العلمانية الغربية. تعتمد فعالية مثل هذه الدولة على توظيف مدراء ملتزمين ومتخصصين وثوريين، يتجنبون الفساد الإداري، ويكونون في خدمة الشعب وتقدم البلاد، ويمهدون الطريق للنمو والتنمية الشاملة. كما أن الوحدة والانسجام الوطني الناجمين عن انحسار الصراعات الفئوية والجهوية، يحصّن هذه الدولة ضدّ التهديدات الخارجية. من ناحية أخرى، فإن الدبلوماسية النشطة والذكية، كأداة فعالة، تساعد على إحباط مؤامرات الأعداء وتأمين المصالح الوطنية. في النهاية، يقدم هذا النموذج للحوكمة، مثالًا مستدامًا يضمن استقلال البلاد بالاعتماد على القدرات الداخلية والإمكانات الشعبية (خامنئي، ١٣٩٥/١٠/١٩ش، ١٣٩٠/٠٥/٢٦ش، ١٣٨٧/٠١/٠١ش، ١٣٨١/٠٣/٠٧ش).

يعتبر آية الله خامنئي أن الاستراتيجية الأكثر أهمية لتحقيق الدولة الإسلامية هي رفع القوة الوطنية. بناءً على هذا الرأي فإن هذه القوة الوطنية هدف كلي متعدد الأبعاد لا يقتصر على القوة العسكرية فحسب، بل يشمل أيضًا الأبعاد الاقتصادية والسياسية والثقافية. تحقيق القوة الوطنية يتطلب المشاركة الفعالة للشعب والأداء المؤثر للمسؤولين. إن الحضور الواعي للشعب في مجالات مثل الانتخابات هو أساس شرعية النظام. من وجهة نظره، فإن القوة الاقتصادية، من خلال تعزيز الإنتاج الوطني والقضاء على الفقر، هي أساس الأبعاد الأخرى. والقوة السياسية تعني الاستقلال في اتخاذ القرارات الدولية والوحدة الداخلية، أمّا القوة الثقافية فهي المقاومة ضد الحملة الأجنبية وتعزيز الإيمان الديني كمحرك للتقدم في جميع المجالات (خامنئي، ١٣٨٠/٠٢/٢٨ش).

أحد الأركان الهامة للدولة الإسلامية هو تعزيز الإنتاج الوطني والاقتصاد المكتفي ذاتيًا، مما يؤدي إلى الاستقلال الاقتصادي. من خلال تقليل الاعتماد على الواردات ودعم الصناعات المحلية، تظل الدورة الاقتصادية للبلاد في مأمن

من ضغوط وعقوبات الأعداء. في هذا المسار، يتم تعزيز ثقافة الجهاد وروح الاعتماد على الذات بين عامة الناس والمسؤولين، لتتنازل سياسة الاستهلاك عن موقعها للإنتاج والإبداع. كما تمنع الدولة الإسلامية، من خلال إنشاء شبكة متماسكة من المؤسسات الرقابية، أي انحراف أو إساءة استخدام السلطة في النظام الإداري، وفي هذا تعزيز للثقة العامة ودعم لأسس الحكم (خامنئي، ١٣٩٢/٠١/٠١ش).

في اعتقاد آية الله خامنئي، يعتمد الاقتصاد المقاوم الإسلامي على ركيزتين أساسيتين: زيادة الثروة الوطنية والتوزيع العادل. يسعى الإسلام إلى مجتمع ثري ولكن عادل، وليس إلى مجتمع يتمتع بنمو اقتصادي مرتفع لكنه غارق في التمييز. الهدف النهائي هو التمكين المتزامن للفرد والمجتمع، بحيث تتحقق الرفاهية العامة والعدالة الاجتماعية جنبًا إلى جنب. تتعارض هذه النظرة مع الاقتصاد الليبرالي الغربي، الذي يرى على الأقل في تياراته الرئيسية أن العدالة أمر ثانوي وأداة للحفاظ على النظام الرأسمالي. الاقتصاد المقاوم، بالاعتماد على الذات، والإنتاج المحلي، وتقليل الاعتماد على النفط، وتعزيز القطاعات الإنتاجية، لا يمنع فقط الهيمنة الاقتصادية الغربية، بل يقدم نموذجًا للمقاومة ضد الاستكبار العالمي. في النهاية، يقدم الاقتصاد المقاوم، من خلال الجمع بين ريادة الأعمال والابتكار والسعي لتحقيق العدالة، ليس فقط حلًا لمواجهة العقوبات والضغوط الغربية، بل أيضًا نموذجًا مستدامًا لبناء مجتمع مستقل ومزدهر وعادل (خامنئي، ١٣٨٥/١١/٣٠ش).

يمكن تحليل رؤية آية الله خامنئي لحلول المقاومة في إطار نظرية بناء الدولة الإسلامية، التي تهدف إلى تمكين الدولة للصمود في وجه الهيمنة الغربية. تستند هذه النظرية إلى الربط بين القيم الإسلامية ومتطلبات الحوكمة الحديثة، وفيها، لا تقتصر المقاومة على كونها مجرد نهج سلبي تجاه العدو، بل هي عملية إيجابية لبناء

دولة قوية، مسؤولة، شعبية، وتعتمد على القدرات الداخلية. في هذا الإطار، تشمل المكونات الرئيسية لنظرية بناء الدولة المقاومة تمكين الهيكل التنفيذي للبلاد، وتعزيز رأس المال الاجتماعي، والتنمية المرتكزة على العدالة، وترسيخ الشفافية والمساءلة. ويشدد على أن الدولة التي تتمتع بالانسجام والكفاءة والروح الجهادية والدعم الشعبي داخليًا هي وحدها القادرة على الصمود في وجه الضغوط الخارجية.

تحليل الخطوط العريضة لعقيدة المقاومة

يتجاوز مفهوم "المقاومة" في الفلسفة السياسية الإسلامية المعاصرة المواجهة العسكرية أو السياسية مع الهيمنة الخارجية، وله أبعاد متنوعة تناولها كل مفكر بجزء منها. يرى طه عبد الرحمن، بالتأكيد على الجوانب المعرفية للمقاومة، أن العودة إلى الحكمة والعقلانية الإسلامية هي طريق لإعادة بناء الهوية في مواجهة الحداثة، بينما يبحث مالك بن نبي هذا المفهوم في البعد الحضاري والاجتماعي ويربط قضية "القابلية على الاستعمار" بإعادة بناء ثقافة الأمة الإسلامية. من ناحية أخرى، يربط مرتضى مطهري، بنظرة فلسفية واجتماعية، المقاومة بإحياء الاستقلال الفكري والثقافي للإسلام ويقترح مزيجًا من العوامل الاجتماعية لتفعيلها. في هذا السياق، يقوم آية الله خامنئي، بدمج الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية، لطرح نظرية شاملة "للمقاومة المثمرة" يتمحور مضمونها المركزي حول بناء الدولة الإسلامية وتفعيل الهياكل الحكومية للحركة. من خلال التوفيق بين هذه الآراء، يمكن التوصل إلى نظرية متعددة الطبقات لفهم عقيدة المقاومة في العالم الإسلامي.

تتيح دراسة أوجه التشابه والاختلاف في آراء طه عبد الرحمن ومالك بن نبي ومرتضى مطهري وآية الله خامنئي تقييمًا أكثر دقة لعلاقتين مهمتين: أولًا، علاقة

هذه الآراء بعضها ببعض، وثانيًا، علاقتها مع التيارات الفكرية الأخرى الناشطة في العالم الإسلامي. هذا التحليل المقارن، الذي سيتم بحثه لاحقًا، يمكن أن يقدم مثالًا لفهم ديناميكيات الفكر السياسي المعاصر في العالم الإسلامي.

١. النقطة المشتركة في وجهات النظر الأربع هي القبول بـ "إمكانية المقاومة"؛ فهم يؤمنون بأن الأمة الإسلامية قادرة على إعادة بناء قوتها الروحية والاجتماعية والسياسية. تتضح أهمية هذا الإجماع عند مقارنته بتلك التيارات الفكرية والاجتماعية القوية في العالم الإسلامي التي تنكر أساسًا ثمار المقاومة. هذه التيارات، التي تسمى بشكل عام "المتغربة"، تؤمن بأن التقدم والتحديث لا يتحققان إلا بتقليد النماذج الغربية واتباع النظام العالمي المهيمن. إنهم يقدمون المقاومة كنوع من الانعزالية أو تكلفة غير ضرورية وعقبة أمام التنمية الاقتصادية والتقارب الدولي والرفاهية الاجتماعية. لذلك، فإن التفسير المشترك للمفكرين المسلمين في الدفاع عن إمكانية المقاومة يعتبر ردًا نظريًا على هذه التيارات ومحاولة لاستعادة الثقة الحضارية للعالم الإسلامي.

٢. خاصية أخرى مهمة ومشتركة في فكر طه عبد الرحمن، ومالك بن نبي، ومرتضى مطهري، وآية الله خامنئي، هي الإيمان بحقيقة أن الإسلام نفسه يمتلك القدرة الكافية والموثوقة لتشكيل وتفعيل مقاومة مثمرة ضد الغرب المعاصر. بعبارة أخرى، يعتقد هؤلاء المفكرون أن القوة الدافعة الرئيسية للمقاومة لا تكمن في الأدوات المادية الغربية البحتة، بل في إعادة قراءة وتفعيل المخزونات الفكرية والثقافية والروحية للإسلام. على الرغم من ظهور تيارات في التاريخ المعاصر حاولت دفع المقاومة من خلال نوع من الانتقائية بين الإسلام والأيديولوجيات غير الإسلامية مثل القومية أو الاشتراكية، إلا أن هذه المحاولات كانت في الغالب مؤقتة وقصيرة الأمد. في المقابل، يؤكد هؤلاء المفكرون الأربعة على أصالة الثقافة والفكر الإسلامي ويعتقدون أنه على أرضية هذا الإرث وحده يمكن

تنظيم مقاومة مستدامة ومنتجة وفعالة ضد الهيمنة الغربية. يوضح هذا البحث وجود حدود فاصلة واضحة بين وجهات النظر الإسلامية الأربع هذه وبين جميع التيارات الفكرية المتغربة والانتقائية في العالم الإسلامي.

٣. تقوم استراتيجية المقاومة في فكر المفكرين الأربعة على التجديد الحضاري، والنهضة الفكرية، والمقاومة العقلانية، وفي مواجهة الهيمنة الغربية، تتبنى مسار البناء والإبداع. هذا هو ما يميز رؤيتهم عن استراتيجية التكفير والعنف التي تروج لها الجماعات الإرهابية في العالم الإسلامي. في الواقع، يعتبر اللجوء إلى الإرهاب شكلًا من أشكال المقاومة ضد الهيمنة الغربية. تعتمد الجماعات التكفيرية على تفسير انفرادي وسطحي للإسلام، ولا تكفر فقط غير المسلمين، بل حتى المسلمين ذوي الأفكار المختلفة، وتبيح قتلهم. تؤمن هذه الجماعات بأن تحقيق الأهداف الإسلامية لا يمكن إلا من خلال الجهاد العسكري والإقصاء الجسدي للمعارضين. هذه الاستراتيجية، التي تعتبر نفسها السبيل الوحيد لمواجهة الهيمنة الغربية، بدلًا من خلق جبهة موحدة، تسبب في الواقع انقسامًا في المجتمع الإسلامي، ومن خلال بث الرعب والخوف، توفر ذريعة لمزيد من تدخلات القوى الغربية. في المقابل، يؤمن المفكرون الأربعة المذكورون بأن المقاومة الحقيقية يجب أن تستند إلى وحدة الأمة الإسلامية، والعقلانية النقدية، والبناء الحضاري الجديد؛ حضارة قادرة على تقديم نموذج مقبول وفعال في مواجهة النظام القائم، لا أن تدمر بشكل أعمى، وهو بحد ذاته دليل على الضعف الفكري والحضاري، مما يؤدي عمليًا إلى إفشال أهداف المقاومة.

٤. من النقاط الجديرة بالملاحظة عند مقارنة هذه الأفكار الأربعة هو اختلاف مستوى استراتيجياتهم. يركز طه عبد الرحمن، ومالك بن نبي، ومرتضى مطهري، كل منهم أكثر من غيره، على مجال بناء الثقافة؛ فهم يعتقدون أنه

بدون إعادة بناء فكري واجتماعي، ستكون أي مقاومة غير مستقرة وغير مجدية. بحسب هؤلاء المفكرين الثلاثة، إنّ إصلاح العقلانية، وإعادة بناء الهوية الجماعية والشخصية الإسلامية، تشكّل القاعدة التحتية الأساسية لتشكيل المقاومة. في المقابل، فإنّ آية الله خامنئي، مع قبوله بأهمية الثقافة، يذهب أبعد من ذلك فيطرح استراتيجياته على مستوى بناء الدولة الإسلامية. ويؤكد على ضرورة إنشاء هياكل حكومية فعالة، وسياسات مستقلة، وترسيخ المقاومة على مستوى الدولة. هذا الاختلاف يشير إلى أن فكرة المقاومة قابلة للمتابعة على المستوى النظري-الثقافي وعلى المستوى العملي-السياسي.

٥. في المقارنة بين هؤلاء المفكرين الأربعة، فإن اختلاف نظرتهم إلى الدول الإسلامية القائمة أمر ذو مغزى كبير. غالبًا ما يكون المفكرون العرب مثل طه عبد الرحمن ومالك بن نبي متشائمين تجاه الدول القائمة في العالم الإسلامي؛ يوضح عبد الرحمن أن الأمة الإسلامية قد تتمكن من إنتاج حداثة خلاقة بالاعتماد على إمكاناتها الثقافية والأخلاقية، لكن دولتها تظل سلبية وعاجزة أمام الغرب. أما مالك بن نبي، فيطرح بحثه أساسًا على مستوى "بناء الأمة" ويرى في الدول القائمة عقبة أمام هذا الهدف. في المقابل، يؤكد مرتضى مطهري، من خلال طرح فكرة "الاستقلال المنهجي"، على أن استمرار الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية مرهون بتغيير الحكومات التابعة واستبدالها بحكومات تقوم على الفكر الإسلامي. أخيرًا، يخطو آية الله خامنئي خطوة أبعد فيناقش "تفعيل الدولة الإسلامية"؛ فهو يعتبر الدولة المستقلة والفعالة المنصة الأساسية لتحقيق "المقاومة المثمرة".

٦. أحد الفروقات الأساسية الأخرى بين المفكرين العرب والإيرانيين في مجال عقيدة المقاومة هو مسألة "القومية" وبروز العنصر العربي. في فكر العديد من

المفكرين الناطقين بالعربية، تطغى الهوية العربية أحيانًا على الإسلامية وتحد من إطارهم النظري. هذا الميل يجعل المقاومة تُصوَّر بشكل أكبر في قالب مشروع قومي عربي، ويتم تجاهل الإمكانات الأوسع للعالم الإسلامي، خاصة في المناطق غير العربية مثل إيران وباكستان وشرق آسيا. في المقابل، سعى المفكرون الإيرانيون دائمًا إلى تقديم عامل الإسلام على عامل القومية وعدم رؤية تعارض بينهما. طُرحت فكرة المقاومة بين الإيرانيين على أساس الأمة الإسلامية الواحدة وإمكاناتها العابرة للأمم، ولذلك فهي تمتلك قدرة أكبر على جذب وتآزر الشعوب الإسلامية المختلفة. وقد أثر هذا الاختلاف في المنهج، من الناحية العملية، على نوع استراتيجيات المقاومة.

٧. الفلسفة السياسية، على عكس التصور الشائع، ليست علمًا مجردًا نظريًا بحتًا، بل هي نتاج آلام وتحديات المجتمع الذي تتشكل فيه. كل فكر، في جملته، هو رد على الأسئلة المنبثقة عن الظروف الموضوعية، وهيكل السلطة، والموقع الجغرافي للمفكر. يمكن ملاحظة هذا الاختلاف بوضوح في مقارنة آراء مالك بن نبي وطه عبد الرحمن مع مرتضى مطهري وآية الله خامنئي. نشأ بن نبي وعبد الرحمن في الفضاء الاستعماري وما بعد الاستعماري للجزائر والمغرب؛ حيث ليس فقط لم تفِ الدول الناشئة بوعود الاستقلال لشعوبها، بل أصبحت هي نفسها بؤرة للأزمات مثل الديكتاتورية والفساد والتبعية. في مثل هذا السياق، كان التركيز الأساسي على "تشخيص الأمراض الحضارية" و"إعادة بناء الذهنية"، نظرًا لتلاشي الأرضيات الاجتماعية اللازمة لقبول نظام جديد. في المقابل، عمل مطهري وخامنئي في سياق أدى إلى انتصار الثورة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين، وتجربة نادرة لتشكيل نظام سياسي إسلامي مستقل. هنا، لم يكن بإمكان الفلسفة السياسية الاكتفاء بالنقد، وإنّما ضرورة العمل على تصميم

نظام بديل دفعتها نحو "بناء النماذج" و"الحضارة العملية". لذلك، وضع مطهري الأسس النظرية للحكم الإسلامي، واهتم خامنئي بوضع مبادئ الحكم الإسلامي المعاصر. نتيجة لذلك، تعد الفلسفة السياسية مرآة تعكس الجغرافيا السياسية للمجتمع. تُظهر هذه المقارنة أن البيئة الجغرافية لا تحدد موضوع الفلسفة فحسب، بل تحدد أيضًا منهجها وأولوياتها وقيودها. لذلك، في مسألة مثل المقاومة، نواجه نظرية كبرى تتضمن نظريات فرعية متنوعة، ونتيجتها هي إنشاء عقيدة غنية وفعالة.

خلاصة البحث

أظهرت الدراسة المقارنة لأفكار طه عبد الرحمن، ومالك بن نبي، ومرتضى مطهري، وآية الله خامنئي أن "المقاومة" في الفلسفة السياسية الإسلامية المعاصرة مفهوم متعدد الأبعاد وديناميكي. إن اتفاقهم في إمكانية المقاومة والاعتماد على إمكانات الإسلام يشكل نقطة اتكاء نظرية مهمة في مواجهة التيارات المتغربة والخانعة في العالم الإسلامي. وفي الوقت نفسه، يعكس اختلاف المناهج تعددًا في مستويات المقاومة: الفكر العربي بقي بشكل أساسي على مستوى بناء الثقافة وبناء الأمة وأهمل تفعيل الدولة، بينما تجاوز الفكر الإيراني الثقافة إلى مجال بناء الدولة الإسلامية وكفاءة الهياكل السياسية. كما أن بروز العنصر القومي في بعض القراءات العربية يقابله النهج العابر للأمم والمهتم بالأمة لدى الإيرانيين. بناءً على هذه المقارنة، يمكن تقديم نموذج شامل لـ "عقيدة المقاومة" يشمل نقد الحداثة الغربية ويرسم مسار بناء الدولة الإسلامية واستمرارية الثورة.

تؤدي دراسة عقيدة المقاومة بناءً على فكر أربعة مفكرين رئيسيين إلى نتيجتين نظرية وعملية: النتيجة النظرية هي تشكيل نموذج إسلامي للمقاومة متجذر في

التقليد الإسلامي وفي الوقت نفسه يستجيب لتحديات العالم الحديث. هذا النموذج يقدم بديلًا أصيلًا ومستقلًا أمام نظريات المقاومة الغربية مثل ما بعد الحداثة والنظرية النقدية، والتي غالبًا ما تكون علمانية، نسبوية، وتفتقر إلى أسس ميتافيزيقية قوية. أما النتيجة العملية، فهي وضع خريطة طريق لـ "المقاومة المثمرة" في مواجهة الهيمنة الغربية؛ مقاومة لا تقتصر على مستوى الشعارات، بل تزيد من قدرة الأمة الإسلامية على الصمود والاكتفاء الذاتي والتقدم الحضاري من خلال استراتيجيات محددة.

المصادر

١. نبی، مالك. (١٤٠٦هـ). *شروط النهضة*. دمشق: دار الفكر.

٢. خامنئی، السيد علی. (١٣٩٨ش). *انديشه مقاومت* (إعداد: سعيد صلح‌ميرزايی). طهران: مؤسسه الثورة الإسلامية للبحوث والثقافة.

٣. خامنئی، السيد علی. (١٣٧٩/٠٣/١٤ش). خطاب بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لرحيل الإمام الخميني﵀، نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3010.

٤. خامنئی، السيد علی. (١٣٨٠/٠٢/٢٨ش). تصريحات مقتبسة من خطب صلاة الجمعة بطهران. نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3066.

٥. خامنئی، السيد علی. (١٣٨١/٠٣/٠٧ش). تصريحاته أثناء لقائه بنواب المجلس. نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3123.

٦. خامنئی، السيد علی. (١٣٨٥/٠٧/٢١ش). تصريحات مقتبسة من خطب صلاة الجمعة بطهران. نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3356.

٧. خامنئي، السيد علی. (١٣٨٥/١١/٣٠ش). تصريحاته خلال لقاء سماحته بالمسؤولين الاقتصاديين والعاملين على تطبيق المادة ٤٤ من الدستور. نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3377.

٨. خامنئي، السيد علی. (١٣٨٦/٠٣/١٤ش). تصريحاته خلال مراسيم إحياء الذكرى الثامنة عشرة لرحيل الإمام الخميني﵀، نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة

الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3387.

٩. خامنئي، السيد علي. (١٣٨٧/٠١/٠١ش). تصريحاته خلال تجمع للزائرين والمجاورين للحرم الرضوي المطهر، نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=3424.

١٠. خامنئي، السيد علي. (١٣٩٠/٠٥/٢٦ش). تصريحاته خلال لقاء سماحته بالناشطين في القطاع الاقتصادي في البلاد، نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=17022.

١١. خامنئي، السيد علي. (١٣٩٢/٠١/٠١ش). كلمة سماحته في الحرم الرضوي المطهر، نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/ speech-content?id=22233.

١٢. خامنئي، السيد علي، (١٣٩٥/١٠/١٩ش). كلمة سماحته خلال لقائه وفد أهالي مدينة قم، نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=35367.

١٣. خامنئي، السيد علي. (١٣٩٦/١٢/٢٤ش). كلمة سماحته خلال لقائه رئيس وأعضاء مجلس خبراء القيادة، نقلًا عن الموقع الإعلامي لقائد الثورة الإسلامية، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=39229..

١٤. سيمبر، رضا. (١٤٠٢ش). تحليل كاركردهای مقاومت در سياست خارجی جمهوری اسلامی ايران. مجلة *دانش سياسی*، السنة (١٩)، العدد الأول خاص بالمقاومة. صص ٨٩-١٠٦.

١٥. عبدالرحمن، طه. (٢٠٠٦ش). *الحداثة والمقاومة*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

١٦. عبدالرحمن، طه. (٢٠٠٧م). *الحداثة والمقاومة*. بيروت: معهد المعارف الحكمية.

١٧. فرهادی، روح الله؛ شفيعی قهفرخی، اميد. (١٤٠٢ش). بازنگری سياست

مقاومت در سپهر نظریه‌های اخلاق هنجاری. مجلة *دانش سیاسی*، السنة (١٩). العدد الأول خاص بالمقاومة، صص ١٤٧-١٦٨.

١٨. متقی، ابراهیم. (١٣٩٢ش). گفتمان‌ها و پادگفتمان‌های مقاومت در سیاست بین الملل. مجلة *مطالعات راهبردی جهان اسلام*، السنة (١٤)، العدد ٤، الرقم التسلسلي ٥٦. صص ٤٧-٨٢.

١٩. مطهری، مرتضی. (١٣٦٨ش). *مجموعه آثار استاد شهید مرتضی مطهری* (ج ١٤، ١٧، ١٩، ٢٤ و ٣٠). طهران: صدرا.

٢٠. نساج، حمید؛ گودرزی طاقانکی، ید الله؛ گودرزی، مهناز. (١٤٠٠ش). مبانی نظری محور مقاومت اسلامی با نگاهی بر انترناسیونالیسم اسلامی. مجلة *راهبرد*، السنة (٣٠)، العدد ٢، الرقم التسلسلي ٩٩. صص ٢٩٩-٣٣٢.